

خطاب صاحب الجلالة

بمناسبة البدء في بناء سد وادي زيز

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

شعبي العزيز :

أقول، شعبي العزيز، ولا أخاطب سكان هذه الناحية فقط، لأن سد وادي زيز في الحقيقة — وأملي أن تكون السدود الأخرى مثل سد وادي زيز — هو سد جميع المواطنين المغاربة الذين يوجدون في شمال البلاد وجنوبها، في شرقها وغربها، ساهموا عملياً وعاطفياً في بناء هذا السد وفي إحياء الأرض الموات.

فالله سبحانه وتعالى هو الذي سيجازيكم ويجازينا خيراً.

والآن سأخاطب أهل تافيلالت بصفة خاصة، وأقول لهم إنني كنت أفكر منذ مدة في الأسباب التي أدت بهذه الناحية التي كانت في الماضي تعد من أخصب النواحي وأغناها ألا وهي ناحية سجلماسة وعاصمة سجلماسة، وأتساءل عن الأسباب التي أدت بها إلى أن تصبح اليوم فقيرة ومحتاجة إلى المدد والاعانة ؟ وبعد التفكير وجدت أن هناك توازناً أوجده الله سبحانه وتعالى بين المجهود الذي يبذله كل فرد وبين الوسائل الفكرية والمادية والمعنوية التي يمدنا بها سنة بعد سنة وجيلا بعد جيل وقرناً بعد قرن.

ربما كانت مياه وادي زيز في ذلك الوقت أكثر مما هي عليه الآن، ولكن الوسائل التقنية والميكانيكية والفلاحية كانت أقل بكثير مما هي عليه الآن أيضاً، ذلك التوازن والاتزان حكمة البارىء عز وجل الذي خلق الانسان وعلمه البيان، وأمره بالعمل والاجتهاد، فلو بقي الانسان على الفطرة لما نقص الله سبحانه وتعالى من رزقه، ولو زاده الله من جهة أخرى عقلا وتقنية وتقدماً ولو لم يضعه يومياً أمام مشاكل وامتحانات جديدة لكان في كرم الله سبحانه وتعالى مدعاة للتكاسل والخمول.

فالحقيقة أن النتيجة التي يمكن أن نصل إليها أن بين الله وعباده يوجد دائما أخذ وعطاء، نعمة وجد، عطاء ومد.

ففي ذلك الوقت كان الناس سواء توفروا على بئر أو خطارة صغيرة أو ساقية صغيرة يقومون بحفرها، أما اليوم فالوديان انسابت في الصحراء، فعوضاً عن أن يغمر النخيل الصحراء والرمال أصبحت الصحراء هي التي تغمر النخيل ثم غمرت المزروعات، وهذا يعني بالنسبة لكم جميعاً أن هذا السد ليس معناه أنه يكفكم عن العمل أو أنه سيكفكم عن الاجتهاد، بل انه لن يكون بالنسبة لكم سوى إعانة، أما الوسائل الحقيقية ووسائل النجاح فهي عملكم واجتهادكم.

وربما نجد في كتاب الله أو في تفسيره الخاص إذا نحن وصلنا بالاشتقاق اللغوي أن نصل إلى النتيجة التي ذكرتها لكم والتي ربما نجدها في هذه الآية الكريمة «لكل أجل كتاب» وإذا نحن أخذنا لفظ جيل وجدنا فيه الجيم واللام ولفظ أجل وجدنا فيه الجيم واللام أيضا، فيمكن لنا أن نقول إذا كان لكل أجل كتاب، فمعنى هذا أن لكل جيل تخطيطاً وعملا، فالكتاب يعني عمل التخطيط والعمل المكتوب، والأجل معناه لكل جيل من الأجيال موعد.

فجيلنا نحن هو جيل العمل والبناء، يجب أن نقوم بما يمكن أن نقوم به ولا يجوز أن نتركه للأجيال المقبلة، فالمشاكل كثيرة، ولا يجب أن نتركها لهم تضاف إلى المشاكل التي ستلقى على كواهلهم، ويمكنني أن أقول لكم بأن هذا اليوم هو أعز أيام حياتي، لأنه في مثل هذه المناسبات تظهر نعمة الله على عباده، وفي مثل هذه المناسبات يمكن لكل مسلم أن يقرأ : «ولينصرن الله من ينصره»، ولكل مسلم أن يقرأ : «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه».

فطوبى للمغاربة، وطوبى لكم جميعاً حيث ان الله سبحانه وتعالى صدق وعده، ونصر جنده ولم يبق لنا إلا أن نشمر على ساعد الجد ونعمل حتى نرى هذه الصحراء وهذه البقاع الموات مخضرة خصبة غنية تعطي ولا تطلب، نعم تعطي الأكل ولا تطلب الأكل ولكنها تطلب العمل وتطلب الجد.

بالأمس اجتمعت مع الوزارات المختصة ومع الفنيين ووضعنا تخطيطاً لا للسدود وحدها، ولا للفلاحة وحدها بصفة خاصة، بل حتى للصناعة الفلاحية وحتى المنتوجات الفلاحية فأملي أن تروا في هذه البلاد أنواع الفواكه والخضر التي لا يتصور وجودها في تافيلالت، وأملي أن تروا فيها البرتقال، وأملي أن تكون في هذا الاقليم جميع الخضر التي تنتج حالياً في أكدير بسوس أو بالغرب وأن تنبت هنا، وأملي أن تكون وسائلكم وقوتكم الانتاجية والتصدير للخارج موازية لأخصب الأماكن بالمغرب، حيث ان التربة صالحة وحيث ان الماء موجود، وحيث ان الشمس، موجودة وحيث ان السواعد والعزائم موجودة.

وإذا نحن تمعنا في معجزات السنوات الأخيرة سياسية كانت أو اقتصادية نرى أن الله سبحانه وتعالى قد أراد بهذا الشعب خيراً حيث أنه إذا أراد شيئاً هيأ له أسبابه، والشيء الأول الذي كان يريده هذا الشعب هو أن يكون حراً في تصرفاته، حراً في اختياراته، حراً في جميع أعماله، فقيض الله له من دافع عن حريته، وقيض الله له من عمل على أن تنال البلاد استقلالها وعزتها وكرامتها بجهاده وجهوده، لقد أرادت العناية الآلهية أن تعطي لهذا البلد الأمين ملكاً أميناً : محمداً الخامس طيب الله ثراه، لو لم يكن جهاد ذلك البطل وتضحيات ذلك البطل وجهاد جيله وتضحياته لما كنا نقف اليوم نختار بأنفسنا أحسن السبل ونعد للتنفيذ أنفع الوسائل وأنجعها.

وبعد مرحلة التحرر السياسي جاءت مرحلة التحرر الاقتصادي، وإننا لنحمد الله حيث أننا لم نقف في معركتنا السياسية وحيث أننا لم تختلط علينا الطرق والسبل وحيث أنه ولو أننا سلكنا الطريق الوعرة نجحنا قبل بعض الدول، ونشكر الله سبحانه وتعالى على أنه أعاننا ووفقنا في هذا الجهاد جهاد التوسع الاقتصادي الذي هو أكبر وأمر وأعنف، وأنه هدانا إلى اختيارات، وأرشدنا إلى برامج، وأخذ بيدنا في تنفيذ خطط وإعطاء الأسبقية للناحية الاقتصادية والانمائية.

ونرى أننا في هذه الظاهرة من نعمة الله سبحانه وتعالى كلما وضعنا — ولما أقول وضعنا فإنني أعني 14 مليون من المغاربة — كلما وضعنا مشروعاً وضعناه في الأراضي القاحلة، ووجدنا الله سبحانه وتعالى في جانبنا، لكوننا فكرنا في الأمر الصعب ولم نفكر في الأمر السهل، ولكوننا فكرنا في الجائع ولم نفكر في الشبعان.

فمثلا لم يكن يقال انه سيقام سد على وادي زيز، وها هو سد وادي زيز يبنى، وهناك ناحية قريبة ومتاخمة لصحراء تافيلالت أريد أن يقام فيها سد وكتبت حوله عدة كتابات وصفحات وظهرت فيه ترددات، وهو سد وادي زاوية نورباز السد القريب من ورزازات، ووضعنا فيه يدنا ونحن عازمون وفاهمون ومومنون، والدراسة المتعلقة به قد أنجزت، وربما سيمكننا أن نقدم للمقاولين بعد خمسة عشر يوماً جميع الوسائل لكي يبدأوا في العمل في سد زاوية نورباز بالقرب من وادي زيز.

وهناك دليل آخر على أن الله سبحانه وتعالى يحب من عباده الكادحين والجادين والمجتهدين والمجاهدين، ففي المغرب ناحية من النواحي يقولون عنها بأنه لا تأتيها الصابة إلا مرة كل سبع سنوات، ولكن إذا عرفت الصابة سنة غابت عنها سبع سنوات، وهي ناحية الرحامنة التي لا يوجد فيها ماء ولا نعمة، فإذا به أنعم الله علينا، فقد اكتشفنا فيها كمية كثيرة من الفوسفاط.

وأننا في هذه السنة وفي عيد العرش بالذات سنفتح الأوراش لبناء معمل إنتاج الفوسفاط كما هو الحال في خريبكة وما يماثلها.

فهذه نعمة أخرى علينا أن نذكرها حتى نحمد الله عليها، ولي اليقين أننا كلما زدنا في اكتشافاتنا ووجهنا أنظارنا إلى الجهات القاحلة إلى العمل الصعب يعطينا الله سبحانه وتعالى قوة فوقها قوة لكي نرى أن نعمه علينا كثيرة، وانه كما قلت لكم يريد ويحب ذلك التوازن بما يعطيه للعبد من وسائل تقنية وبما يتطلبه من العبد من بحث وجد واجتهاد.

هذا السد في الحقيقة سيبنى بمدخول السكر الذي يستهلكه المغاربة، والآن توفرت منه تقريباً أربعة ملايير خلال سنة واحدة، وأعتقد أنه ليس من الواجب أن أسأل المغاربة من جديد هل يريدون أن نترك السكر على ثمنه أم لا ؟ لأن لنا سدوداً أخرى ؟

ولا أريد أن يقال ان المغاربة تعاونوا من أجل تافيلالت ونسوا ورزازات أو تعاونوا من أجل ورزازات ونسوا تاساوت، أو تعاونوا من أجل تاساوت ونسوا زاكورة ونسوا سيدي إدريس، وتعاونوا من أجل سيدي إدريس ونسوا سيدي شحو أو تعاونوا في سبيل سيدي شحو ونسوا سدوداً أخرى يلزمنا أن نأخذ فيها اختيارات.

فكما ترون البرامج كثيرة، والسدود بالعشرات، والسيول للأجيال، والتضحية بالدقائق، والدقيقة يضع فيها المرء طوبة من السكر في إبريقه وتذوب ويتذوقها لخمس دقائق ثم تمر، أما السدود فتبقى، فما كان لله دام واتصل، وأحسن عمل لله هو عمل الجد.

وهنا باسم 14 مليون من السكان أؤكد أمام الله عزمنا على أننا سنبقى متحملين لهذه التضحية المالية الثقيلة حتى نشيد تلك السدود كلها، وحتى يعم الخير والرخاء جميع أنحاء هذه البلاد، اللهم إنك أعطيتنا فهب لنا القدرة على شكرك حق الشكر وحمدك حق الحمد .

اللهم إنك فتحت أعيننا على الخير وقلوبنا للخير، فلا تسد أبواب الخير وأبواب رحمتك أمامنا .

اللهم إنك خلقت فينا وعياً وتعاضداً واتحاداً، اللهم اجعل هذا التعاضد وهذا الوعي وهذا الاتحاد دائماً مسترسلا .

اللهم إنك جعلتنا في صعيد عبادك المتواضعين، شعباً يقال عنه إنه حكيم، شعباً يقال عنه إنه جاد وجدي، شعباً يقال عنه إنه شعب طموح، اللهم أدم علينا هذه النعم وهذه الخصال من الوعي ومن التسامح ومن عمل ومن كد ومن جدية .

اللهم إنك وعدت عبادك المخلصين والمتقين بأن تعطيهم في دنياهم حسنة، وفي آخرتهم حسنة، اللهم إذا كانت طاعتك وإذا كانت عبادتك هي العمل فأعطنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة بمقدار ما نعمل وما نجد وما نجتهد .



اللهم إنك تعلم أن كل عبد من عبادك قد يصطدم فيه عنصر الشر وعنصر الخير، وتعلم أن كل عبد من عبادك له شيء ما من الأنانية أو شيء من الاستهتار بالنفس.

اللهم إنك تعلم أننا لا نقيم هذه السدود ولا نقول هذه الكلمات ولا نجوب بلادنا طولا وعرضاً ليقال فينا وعنا، فبارك الله لنا في العمل.

والله نسأل في الأخير أن يعم الرخاء والسعادة في هذه البقعة الطاهرة، ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا السد الذي أردنا أن نطلق عليه سد الحسن الداخل أن يكون كالذي حمل اسمه، فلقد كان الحسن الداخل رضوان الله عليه علامة خير وبركة على هذه الأمة وكان بضعة نبوية وبريقاً لهذه البقعة خاصة ليعيد للأمة شبابها ودينها.

اللهم إنك تعلم أنه لم يدخل البلاد قاهراً ولا فاتحاً ولا متجبراً وإنما دخلها وجاء إليها واستوطنها وآوى إليها وتزوج منها إرضاء لرغبة سكان هذا الاقليم في أن يسكن بين ظهرانيهم شريف وولي صالح عادل حتى يتبركوا به وحتى يعم الخير جميع نخيلهم وفلاحتهم، اللهم كما جعلت هذا الحسن الداخل طالع يمن وبركة على هذه البلاد فاجعل لهم اللهم هذا السد الذي ندشنه اليوم طالع عهد جديد وفاتحة عهد جديد على سكان هذا الاقليم وعلى أمتك المغربية المسلمة وعلى أمتك العربية المسلمة وعلى أمة المسلمين كافة وأدم حرمتهم، وعزز جانبهم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بفم الغيور

الجمعة 12 شوال 1387 — 12 يناير 1968